مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 5 السنة: 2020
ص: 488 - 504 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الأنساق الثقافية في الرواية السير ذاتية النسائية
(خواطر امرأة لا تعرف العشق) لأسماء معيكل أنموذجا

Cultural patterns in the feminine novelistic autobiography 'Thoughts of a Woman Who Does Not Know Love' by Asmaa Maikel as a model

[*] فريال تواتي[1]، حفيظة سوالمية[2]
Faryal Touati[1], Hafida Soualmia[2]
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي الجزائر
مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري الواقع والمأمول
Larbi Ben M'hidi University, Oum El Bouaghi, Algeria
Laboratory: The Arabic language and literary text Didactics in the Algerian educational system, reality and expectations
touatiferyal2018@gmail.com
hafidasoualmia04@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/4/17	تاريخ القبول:2020/06/06	تاريخ النشر: 2020/12/25

ملخص البحث

تحاول هذه الورقة البحثية الكشف عن مختلف الأنساق القابعة في مثني الرواية السير ذاتية النسائية، من خلال السعي إلى دراسة رواية "خواطر امرأة لا تعرف العشق" لأسماء معيكل كنموذج نسائي للدراسة، بغية استجلاء مختلف تجليات الأنساق الثقافية المختلفة التي تضمنتها هاته الرواية السير ذاتية النسائية، فما مفهوم الرواية السير ذاتية؟ وما هي أشكال الأنساق الثقافية المختلفة التي تختفي خلف سطور هاته الرواية السير ذاتية رواية "خواطر امرأة لا تعرف العشق" لأسماء معيكل؟.

الكلمات المفتاح: أنساق ثقافية، رواية سير ذاتية، نسائية، تجليات.

Abstract :
This research paper attempts to reveal the various cultural patterns hidden in the text of the feminine novelistic autobiography. Accordingly, it seeks to study the "Thoughts of a Woman Who Does Not Know Love" novel by Asmaa Maikel as a feminine model of study in order to clarify the various

[*] فريال تواتي: touatiferyal2018@gmail.com

aspects of the different cultural patterns included in this feminine novelistic autobiography. So, what is the novelistic autobiography? What are the different forms of cultural patterns that are hidden behind the lines of this novelistic autobiography "Thoughts of a Woman Who Does Not Know Love" by Asmaa Maikel?.

Keywords: Cultural patterns, novelistic autobiography, feminism, aspects.

مقدمة:

تشكل التجربة الإبداعية النسائية مكانة مرموقة في وقتنا الراهن، وذلك لما تمتاز به من خصائص وسمات جعلتها تجابه إبداع الرجل الذي عمل على تهميشها وإقصائها من الساحة الأدبية، بحجة أن إبداعها لا يرقى إلى المستوى الإبداعي الذكوري، هذا الأمر دفع المرأة إلى خوض غمار الرقي بإنتاجاتها الأدبية وأعمالها الإبداعية إلى مصاف التفوق في الساحة الأدبية، وجاءت الرواية في مقدمة أعمالها التي تبرهن على أهمية ما تنتجه المرأة من أعمال في الساحة الأدبية والثقافية، وذلك من خلال تناولها لموضوعات وقضايا متعددة، فأضحت بذلك الرواية النسائية ظاهرة أدبية متميزة لها خصوصيتها التي تميزها عن الرواية الذكورية، وذلك لكونها تنبع من ذاتية المرأة وعلاقاتها الاجتماعية.

وبتطور الرواية ودخولها عوالم تجريبية جديدة، سارعت المرأة منافسة الرجل إلى تناول هذه العوالم الحداثية وتوظيفها في أعمالها الأدبية، نذكر هنا على سبيل المثال تناولها لظاهرة السيرة الذاتية، هاته الأخيرة التي تمثل مجالا خصبا عبرت فيه المرأة عن ذاتها وهويتها وهمومها، وما يختلج في صدرها من مشاعر وأحاسيس، وما يحيط بها من قضايا وإشكالات، وسط البيئة التي تعيش فيها.

ولعلنا في هذه الدراسة سنتوقف عند أحد أهم الروايات السير ذاتية النسائية وهي رواية "خواطر امرأة لاتعرف العشق" لأسماء معيكل، وذلك من خلال دراسة أهم الأنساق الثقافية التي تضمنتها هاته الرواية السير ذاتية بشكل تتداخل فيها الذاتية مع التخييل.

هذا ما يقودنا إلى طرح عدة تساؤلات أهمها: ما مفهوم الرواية السير ذاتية؟ كيف عبرت المرأة عن ذاتها في رواياتها؟ ما هي أهم الأنساق الثقافية الكامنة في النص الروائي السير ذاتي خواطر امرأة لا تعرف العشق؟.

أولا–في مفهوم الرواية السير ذاتية:

قبل تعريف الرواية السير ذاتية، حرى بنا أن نتوقف أولا عند مفهوم السيرة الذاتية، التي جاء تعريفها عند فيليب لوجون بأنها: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته"[1]، هذا التعريف لمفهوم السيرة الذاتية عند فيليب لوجون يعرض"عناصر تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:

1–شكل اللغة: أ–حكي/ ب– نثري

2–الموضوع المطروق: حياة فردية، تاريخ شخصية معينة

3–وضعية المؤلف: تطابق المؤلف (الذي يحيل اسمه إلى شخصية واقعية) والسارد

4–وضعية السارد: أ–تطابق السارد والشخصية الرئيسية / ب– منظور استعادي للحكي"[2]، ما يفهم من هذا الحد للسيرة الذاتية، أنها حكي يستدعي تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية.

ونجد جان ستاروبينسكي يعرفها بأنها: "سيرة شخص يكتبها بنفسه"[3]، في حين يقر جورج ماي بصعوبة وضع تعريف جامعا للسيرة الذاتية وذلك بسبب حداثة هذا المصطلح. هذا عند الغرب، أما عند العرب نلمح عبد العزيز شرف يعرف السيرة الذاتية بأنها: "تعبير عن أهم مظاهر الحياة الشخصية لكاتبها"[4]، كما يرى بأنها أيضا: "تعني حرفيا ترجمة حياة إنسان كما يرها هو"[5]؛ أي أن هدفها نقل وقائع وأحداث مر بها المؤلف في حياته إلى الآخرين.

إن الملاحظ على هذه التعاريف المختلفة للسيرة الذاتية يجدها متباينة من باحث أو من ناقد لآخر، فعلى الرغم من أنها تلتقي عند نقطة واحدة ألا وهي عرض حياة صاحبها، إلا أننا نجد أن مصطلح السيرة الذاتية لازال يعاني من صعوبة في تحديد ماهيته بسبب مرونته وتداخله مع أنواع أدبية مختلفة كاليوميات والمذكرات والاعترافات والرواية.

إن قدرة الرواية على احتواء أجناس أدبية مختلفة، جعلها تتمازج وتتداخل مع السيرة الذاتية بكل سهولة ويسر، هذا التمازج والتداخل أنتج نوعا أدبيا جديدا أطلق عليه عدة تسميات أبرزها

الرواية السير ذاتية، وقد تناول النقاد والدارسين هذا النوع الأدبي الجديد بالبحث والدراسة لتحديد ماهيته وخصائصه.

تحدث فيليب لوجون في كتابه السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي) عن الرواية السير ذاتية بقوله: "...رواية السيرة الذاتية، سأطلق هذا الاسم على كل النصوص التخيلية التي يمكن أن تكون للقارئ فيها دوافع ليعتقد، انطلاقا من التشابهات التي يعتقد أنه اكتشفها، أن هناك تطابقا بين المؤلف والشخصية، في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق، أو على الأقل اختار أن لا يؤكده. وحسب هذا التحديد تشمل رواية السيرة الذاتية روايات شخصية (تطابق السارد والشخصية) مثلما تشمل روايات لا شخصية (شخصيات مشار إليها بضمير الغائب"[6]؛ ففيليب لوجون يفضل مصطلح رواية السيرة الذاتية التي أكد على طابعها التخييلي مفرقا إياها عن نصوص السيرة الذاتية، ومعتبرا "الميثاق السير ذاتي أهم محدد للسيرة الذاتية وهو الفيصل بينها وبين الرواية السير ذاتية"[7]، وأساس الميثاق السير ذاتي هو التطابق بين الكاتب والراوي، والتطابق بين الراوي والشخصية الرئيسية واعتماد القص الاسترجاعي في النصوص السير ذاتية، وقد "أضاف لوجون إلى مفهوم الميثاق السير ذاتي، مفهوم الميثاق الروائي... ويميزه بخاصيتين: شهادة إجرائية على عدم التطابق (لا يحمل المؤلف والشخصية الاسم نفسه) وتصريح بالتخييل"[8]؛ أي أن الميثاق الروائي يشكل دليلا صريحا على النص التخييلي، ويمكن أن يتمظهر من خلال عنوان فرعي على الغلاف، في حين نجد جورج ماي يميز بين "السيرة الذاتية ذات الاسم المستعار من الرواية السير ذاتية، إنما هو أساس تصريح المؤلف في الأولى بأنها سيرة ذاتية، وفي الثانية بأنها رواية"[9]، وعبرت ماري مادلين توزين "عن التداخل بين الرواية والسيرة الذاتية عند الروائيين الجدد فقالت: " لقد تمازجت الرواية والسيرة الذاتية اليوم تمازجا حميما وتعددت النصوص الملتبسة إلى حد أن بعض النقاد اقترحوا مصطلحا جديدا: التخييل الذاتي"[10]، في حين أننا نجد نقادنا العرب ابتدعوا مصطلحات أخرى لهذا النوع الأدبي المستحدث "فأطلقو على كتاباتهم السيرة الرواية، والرواية السيرة، وابتدع محمد برادة مصطلح محكيات في روايته السيرة ذاتية الأخيرة مثل صيف لن يتكرر"[11]، بينما فضل عبد الله إبراهيم مصطلح السيرة الروائية الذي عرفها بأنها: "كتابة سردية مهجنة من نوعين سرديين معروفين هما: السيرة والرواية...وهي نوع من السرد الذي يتقابل فيه الراوي والروائي ويندرجان معا في تداخل مستمر ولا نهائي، يكون الروائي مصدرا لتخيلات

الراوي"[12]، ونتيجة لهذا التداخل بين الرواية والسيرة الذاتية، لجأ المؤلفون إلى اعتماد هذا النوع الأدبي الهجين من أجل سرد الوقائع والأحداث التي تتعلق بحياتهم الشخصية، وقد اختلفت الأسباب والدوافع التي دفعت بالكتاب والمؤلفين إلى كتابة الرواية السير ذاتية، بل ربما نجد أن دوافع كتابة هذا النوع الأدبي الجديد قد اختلفت بين الجنسين ذكر/أنثى، فعلى الرغم من أن السبب الرئيسي في كتابة الرواية السير ذاتية والذي تمثل في نقل حقائق ووقائع عاشها المؤلف تكاد تكون مشتركة بين الذكر والأنثى،إلا أننا نجد أسباب ودوافع أخرى مغايرة تجعل الرواية السير ذاتية النسائية مختلفة ومتميزة عن الرواية السير ذاتية الذكورية.

ثانيا– الرواية السير ذاتية النسائية:

وجدت المرأة في الرواية مجالا خصبا للتعبير عن ذاتها المقموعة والقهر والتهميش والضغط النفسي والجسدي الذي تعانيه من المجتمع الذكوري، هذا التعبير عن الذات ومواقفها وآرائها جعل رواياتها توصف بأنها روايات سير ذاتية، فنجد الكثير من "القراء لا يريدون أن يفرقوا بين التجربة الشخصية والتجربة الفنية، لا سيما إذا كانت كاتبتها امرأة، ويعتبرون الاثنين شيئا واحد"[13]، فسواء كتبت المرأة روايتها بضمير المتكلم أو المخاطب فإن ذلك يجعل ابداعها الروائي لا يخلو من أثر الذات التي ظلت مكبوتة ومهمشة بفعل سيطرة الرجل.

إن تمركز الذات في الأعمال الروائية النسائية جعل المتن الروائي النسائي يتميز عن الأعمال الروائية الذكورية، ومن جملة الأسباب التي جعلت الرواية السير ذاتية النسائية متميزة عن نظيرتها الرواية السير ذاتية الذكورية، هو أن المرأة سعت إلى التحرر والهروب من المحظور باختراقها للتقاليد التي قيدتها، وذلك من خلال توظيفها بعض من سيرتها بشكل تخييلي مستفيدة في ذلك من أهم عناصر الخطاب الروائي، فأضحت الرواية السير ذاتية شكلا منح للمرأة مساحة للتعبير عن ذاتها وشواغلها من خلال ما تطرحه من قضايا تتصل بذاتها وبوجودها فردا اجتماعيا معتمدة في ذلك على أساليب غير مباشرة التي وفرها لها أفق التخييل.

ورواية "خواطر امرأة لا تعرف العشق" لأسماء معيكل تمثل أحد أهم الروايات التي طغت فيها الذاتية متداخلة مع التخييل، ما جعلها تصنف ضمن الرواية السير ذاتية، خاصة وأنه قد جاء في تقديم الرواية الذي قدمه الطاهر الهمامي قوله أن هذه الرواية تعد "نص يبدو عصيا على التصنيف والتجنيس فعلت لعبة الواقعي والمتخيل فعلها فيه، بما جعله رواية كالسيرة أو سيرة كالرواية،

وجعلك أميل إلى اعتباره رواية سير ذاتية لما رأيت من وجوه المطابقة بين المؤلف والراوي والشخصية المركزية"[14]؛ فهذا يعد دليلا صريحا على أن الرواية تنتمي إلى جنس الرواية السير ذاتية.

ومن الملامح التي تحدد أنها رواية سير ذاتية أيضا عنوان الرواية الذي جاء موسوما "بخواطر امرأة لا تعرف العشق" ، حيث شكلت كلمة خواطر علامة موحية لجنس الرواية السير ذاتية، بالإضافة إلى ذلك نجد أن استخدام ضمير الأنا المتكلم البارز بكثرة في ثنايا الرواية والذي يعد من أبرز مظاهر الرواية السير ذاتية، كما أن تقسيم الرواية على شكل فصول يوحي بأن الرواية هي عبارة عن مذكرات أو سيرة ذاتية للشخصية المحورية سارة سعيد التي كتبتها الروائية أسماء معيكل والذي يعد أولى أعمالها التي تنتمي إلى جنس الرواية السير ذاتية، كل هذه العناصر شكلت رواية سير ذاتية استطاعت الروائية أن تعبر من خلالها عن الكثير من القضايا التي عملت الخطابات الأدبية على اضمارها وإهمالها، كما تطرقت إلى العديد من المسائل المسكوت عنها ووظفتها في روايتها بطريقة تتداخل فيها الواقعية مع التخييل.

وقد جاءت هذه الدراسة لتتعرض لمختلف الأنساق الثقافية الكامنة في الرواية السير ذاتية "خواطر امرأة لا تعرف العشق" لأسماء معيكل، فما هي أهم الأنساق الثقافية البارزة في المتن الروائي السير ذاتي خواطر امرأة لا تعرف العشق؟.

ثالثا– تعالق الأنساق الثقافية في رواية خواطر امرأة لا تعرف العشق:

يمثل النسق الثقافي احدى أهم الركائز التي يقوم عليها مشروع النقد الثقافي، وهو تركيب لمفهومي النسق والثقافة، وقد تعددت التعريفات التي ناقشت مفهوم النسق الثقافي، ولعل أبرزها أنه يعني : "تركيبة اجتماعية منغرسة في أعماق الخطاب، تعبر عن الصورة الاجتماعية والثقافية لمجتمع ما، يصعب اكتشافها بالقراءة السطحية كونها تختبئ خلف السطور، والنسق الثقافي هو عنوان المجتمع وهويته"[15]؛ فهو عبارة عن نظام يختزن الرموز والعادات والتقاليد والفنون والأخلاق، ويشتغل على أنظمة الخطاب الظاهرة والمضمرة، ويدرس مواضيع الطابو وعلاقة الأنا بالغير والهويات المهمشة للكشف عن الأنساق الثقافية الكامنة والمتخفية.

وتعد رواية خواطر امرأة لا تعرف العشق نوعا من الخطابات التي تزخر بأنساق ثقافية مضمرة ومتخفية، تناولت فيه الروائية أحداث روايتها بشكل يتداخل فيها الواقعية مع التخييل/ السيرة الذاتية مع الرواية، ويمكننا تقسيم أهم الأنساق الثقافية الواردة في الرواية إلى ما يلي:

1-نسق اللغة:

تعد اللغة من أهم الأنساق الثقافية البارزة في الرواية، وذلك لقدرة الكاتبة على المزج بين عدة أشكالها، فإلى جانب اللغة العربية الفصحى الطاغية في الرواية، استطاعت الروائية أيضا توظيف مظاهر أخرى للغة لعل أبرزها ظاهرة التعدد اللغوي من خلال التقابل والتمازج الواضح والبين بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، وبعض الكلمات الأجنبية وذلك لكون "السرد حوار اللغات واللهجات كما يلح النقد الحديث على ذلك"[16]؛ فالسرد منح للروائية القدرة على توظيف هذا الجانب الجمالي اللغوي الذي أضفى على الرواية بعدا فنيا حداثيا فتح أمام القراء آفاق واسعة لتعدد القراءات .

ومن مظاهر توظيفها للهجة العامية السورية خاصة التي نجدها طاغية بكثرة في الرواية من خلال الحوارات التي دارت بين كل من البطلة المحورية سارة سعيد ونصر الله، نرصدها في الآتي: "مش معقول توقفوا ضده"[17]، وأيضا من خلال : "إذا رجعت بجن، وإن تركتك بشقى لا قدراني فل ولا قدراني ابقى؛ شو أعمل"[18]. "ها...شو ما عرفتني؟...ليش ما حدا عميشوفك"[19]. كما وظفت الرواية أيضا اللهجة السورية من خلال حديث الناس عن الفتاة التي قتلها أخوها بقولهم: "يا لطيف ما بجي من وراهن غير المشاكل هم البنات للممات... رجال يحيي أصله ...يا هيك الرجال يابلى ...غسل عاره"[20]. إلى جانب اللهجة السورية نجد الروائية وظفت بعض من اللهجة المصرية والتي تجلت من خلال تذكر سارة سعيد لموقف حدث لها مع رجل مصري الذي وصف شخصيتها بقوله: " إنتي عارفة كل حاجة، وفاهمة كل حاجة، لكن أجمل ما فيكي إنك بتستهبلي"[21]، لكن الملاحظ على هذا التوظيف للهجة العامية أن اللهجة العامية السورية كانت من أكثر اللهجات الموظفة بكثرة بجانب اللغة العربية الفصحى فالتعدد اللغوي برز في هذه الرواية من خلال الازدواج الذي حصل بين اللغة العربية واللهجة العامية السورية خاصة، وهذا دليل على أهمية اللهجة السورية في ذات الروائية السورية الأصل التي اتخذت من لهجتها السورية وسيلة وأداة للتعبير عن مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية.

وإضافة إلى اللغة العربية الفصحى والعامية، نلمح حضور قوي للغة أخرى في طيات الرواية وهي اللغة الأجنبية، ومن أمثلة ذلك قول نصر الله لسارة سعيد: " Happy valentine "[22]، وأيضا من خلال قول سارة سعيد: "Imiss you…Imiss you"[23]، كا برزت اللغة

الأجنبية أيضا من خلال الرسائل القصيرة على الهاتف والتي جاءت مكتوبة بأحرف لاتينية: "Riwaya mudammaira…anaa fi intidhaark"[24]. إلا أن الملاحظ على الرواية أن أكثر اللغات الأجنبية الموظفة هي اللغة الانجليزية وذلك بسبب طبيعة عمل بطلة الرواية التي تشتغل في عمل دبلوماسي في السفارة.

إلى جانب ذلك نلمح في رواية توظيف آخر للغة تمثل في التداخل اللغوي الذي حدث بين اللغة العربية واللهجة العامية واللغة الأجنبية في جملة واحدة ومن أمثلة ذلك الحديث الذي جرى بين نصر الله وسارة سعيد: "...Bonsoir...Good evening... Ulla السلام عليكم، مساء الخير... مرحبا، ...كيفك اشتقتك"[25]، فهنا برز التداخل اللغوي في جملة واحدة من خلال استخدام الروائية لعدة لغات تداخلت فيما بينها وهي اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية اللغة الانجليزية واللهجة العامية.

إن نسق اللغة لعب دورا هاما وفعالا في الرواية، فقد شكلا محورا أساسيا محركا للأحداث، فاللغة في هاته الرواية تعد إحدى الأنساق الثقافية التي جاءت محملة بالذات الأنثوية، ذات الروائية التي استطاعت من خلال نسق اللغة التعبير عن ذاتها وانفعالاتها وآرائها من خلال استخدامها لظاهرة التعدد اللغوي الذي أضاف جوا من الألفة والحميمة عبرت به الكاتبة من خلال بطلتها سارة سعيد عن ذاتها التي نجدها تتحدث بلغة عربية فصحى ممزوجة أحيانا بلهجة عامية وأحيانا بلغة أجنبية.

2- نسق المرأة:

جسدت الروائية أسماء معيكل في روايتها المرأة بكل صورها وأوضاعها وآلامها، حيث تطرقت إلى المرأة بصور متنوعة ومختلفة لعل أبرزها:

أ-صورة المرأة الجريئة في مواقفها:

ويبدو ذلك جليا من خلال سارة سعيد الشخصية المحورية في هذه الرواية السير ذاتية التي جاء وصفها في الرواية بأنها: "سارة سعيد... لا يمكن لشخص عرفها حتى ولو لبضع ثوان، أن يمحو صورتها من ذاكرته، أو أن ينسى صدى صوتها، وألا يعجب بشخصيتها وعقليتها المتميزة جدا"[26]، فقوة وتأثير سارة سعيد بدى واضحا منذ الصفحات الأولى للرواية، حيث عملت الروائية على التركيز على هذه الشخصية التي اتخذت منها وسيلة للتعبير عن الكثير من القضايا

وذلك من خلال اعطائها الدور الاساسي والمحوري في الرواية وعملت على ابراز الجانب القوي الذي يؤثر في كل شخص يراها فهي كما قال عنها نصر الله ستبقى متجذرة في "أعماق الذاكرة إلى الأبد... هناك أشخاص يولدون ليكونوا خالدين، وسارة سعيد امرأة من هذا النوع"[27]. كما تطرقت الرواية أيضا إلى ثقافة وقوة المرأة التي برزت من خلال سارة سعيد صاحبة الرأي القوي والمواقف المتعددة، وبرز ذلك من خلال مواقفها السياسية تجاه حرب العراق والمقاومة الفلسطينية واللبنانية، حيث عمدت الرواية على تسليط الضوء على الأثر الذي تركته حرب العراق في قلب سارة سعيد وذلك من خلال كتاباتها وخواطرها التي كتبتها تبكي فيها بغداد من ذلك قول الروائية: "في ذلك اليوم وجدت نفسها ودون أن تدري تفتح دفتر مذكراتها وتكتب... لم تكن تكتب، بل كانت تناجي، كانت تناجي بغداد...كانت تنشج بغداد..أدميت قلبي يا بغداد..."[28] ، إن حب الوطن والعروبة بدى واضحا وجليا في الرواية، خاصة من خلال سارة سعيد التي أظهرت موقفها السياسي وما تعانيه الشعوب العربية من حروب، ولعل أبرز دليل على ذلك هو الفخر الذي أظهرته البطلة عندما أعلنت سورية مساندتها للمقاومة حيث جاء تصريحها بأنها: "شعرت بالفخر لأنها عربية سورية فموقف بلادها من القضايا القومية كان مشرفا"[29]، ولعل هذا الحب للهوية العربية ومساندة العرب في قضاياهم الذي نلتمسه في شخص سارة سعيد البطلة المحورية إنما هو دليل وتصريح من الروائية أسماء معيكل على وقفوها بجانب القضايا السياسية ومساندتها للشعوب العربية من أجل تقرير مصيرها وتحقيق حريتها.

كما أعطتنا الرواية أيضا نظرة واضحة حول صورة المرأة سارة سعيد المثقفة التي استطاعت أن تناقش بكل حرية العديد من القضايا مع نصر الله الذي عبر عن قوة وتأثير الثقافة والفكر الذي تتمتع به سارة سعيد في مناقشاتها بقوله: "نضجها العقلي يسبق عمرها الفعلي بسنوات عديدة... معها كنت أشعر أنني أتحدث مع شخص نضجه العقلي يوازي عقلي وربما يتفوق عليه؛ الأمر الذي جعلنا نناقش مختلف الموضوعات: السياسية والدينية والجنسية بمنتهى الحرية وبعيدا عن اللف والدوران.. عندما يكون الوعي صحيحا، والإدراك سليما فكل الفوارق تبدو هزيلة واهية"[30]؛ ولعل هذا النضج العقلي الذي تتمتع به سارة سعيد برز أيضا من خلال قدرتها على كتابة حياتها وسيرتها الذاتية في شكل رواية التي أرسلتها إلى نصر الله لينشرها لها، ومن ذلك قولها في رسالة بعثتها له: "الغالي نصر الله... في هذا الظرف ستجد روايتي التي بدأت بكتابتها منذ سنين

طويلة... الآن الرواية أصبحت شبه مكتملة... ما ينقصها فقط هو العنوان...عناوين كثيرة راودتني، ولكنني لم أستقر على أي منها... ما رأيك بخواطر امرأة لا تعرف العشق... ربما يكون عشق الملائكة مناسبا أكثر...لماذا لا نسميها عندما تعشق الآلهة"[31]؛ فشجاعتها وجرأتها جعلتها تكتب حياتها وسيرتها الذاتية وأعطت لها عناوين ذات بعدا صوفي وهذا دليل قوة تفكيرها وثقافتها الأدبية.

لعل ما نستشفه لهذا التقديم للمرأة المثقفة القوية أن الروائية بتركيزها على شجاعة سارة سعيد البطلة المحورية للرواية استطاعت من خلالها إبراز دور وأهمية المرأة في المجتمع وذلك من خلال تبنيها للعديد من القضايا والموضوعات خاصة الطابوهات التي تحدثت عنهم سارة سعيد بكل حرية وموضوعية.

ب- صورة المرأة المضطهدة:

عالجت الروائية أسماء معيكل في روايتها قضية المرأة وما تعانيه من اضطهاد وسط مجتمع أبوي، والذي برز في الرواية من خلال حديث سارة سعيد مع نصر الله عن قضية المرأة وسط مجتمع يسامح الرجل ويعاقب المرأة ذلك أن "الرجل عندما يفعل ما يفعله، يفعله لأن لديه استعداد فطريا تكون نتيجة الثقافة الذكورية المتغلغلة في لاوعيه والتي تبيح له القيام بكل شئ بينما تحرم المرأة من أبسط حقوقها...أنت تعلم أننا نعيش في مجتمع تحكمه ثقافة ذكورية"[32]؛ فالكاتبة هنا تناقش طبيعة المجتمع وأنساقه المتجذرة منذ القدم الذي يتساهل مع الرجل ويعاقب المرأة، ولعلها هنا لا تهاجم هذا المجتمع الذكوري فقط بل إنها تعاتب وتهاجم المرأة بالدرجة الأولى من ذلك قولها: "الطامة الكبرى أنه إذا حدث وأخطأت المرأة فإن أول من يدينها هو المرأة نفسها... أما إذا أخطأ الرجل فخطؤه لا يسمى خطأ، وأول من يدافع عنه هو المرأة منطلقة من مقولة الرجال ما بعيبه شي"[33]، لعل الهدف من هذه المعاتبة الذي أبدته الروائية من المرأة إنما هدفه يكمن فإن التغيير لا بد أن يبدأ أولا من ذات المرأة وذلك من خلال إيمانها بنفسها وذاتها وقضيتها وحريتها وأن تسعى دائما إلى التغيير من حالها برجاحة عقل وفكر.

إلى جانب ذلك تحدثت الرواية أيضا عن مظاهر ضعف أخرى تعاني منها المرأة وذلك من خلال والدة نصر الله التي تعاني من زوجها الذي مارس عليها شتى أنواع التعذيب اللفظي والجسدي من ذلك قول نصر الله: "كنت صغيرا وكان والدي يتشاجران دائما... والدي في حالة

هياج يكيل لوالدتي كل أنواع الشتائم، ولا يتورع عن ضربها بعنف، يطردها من غرفته، تأتي إلينا وهي تنشج بالبكاء"[34]، فرغم ما تقوم به والدة نصر الله من تدبير أمور منزلها إلا أن زوجها يأبى دائما في ممارسة فحولته عليها التي اكتسبها من المجتمع الذي يؤمن بقوة وفحولة الرجل وضعف المرأة التي تبقى دائما خاضعة للرجل.

كما صورت الروائية أيضا مظهر آخر للعنف ضد المرأة تمثل في الفتاة التي قتلها أخوها "لأنه شك في سلوكها... بعد أن ذبحها ذهب إلى قسم الشرطة وسلم نفسه قائلا: سيدي إصبعي عابت وقطعتها...التخلف والجهل جعلا من هذا القاتل بطلا ...أما الضحية فصارت تلوكها الألسن حتى بعد موتها... مستاهلة... عاهرة... هم البنات للممات... رجال يحيي أصله يا هيك الرجال يا بلى... غسل عاره الفتاة التي لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها حكم عليها بالموت دون التأكد من شيء"[35] فهذا المفهوم التقليدي للشرف في الأعراف الاجتماعية سمح للرجل وأعطى له الحق في قتل البنات من أجل المحافظة على شرفه ووجوب معاقبة المرأة الخارجة عن التقاليد الاجتماعية.

إن الروائية من خلال تطرقها إلى هذه القضايا التي تخص المرأة التي تعاني في مجتمع يؤمن بالذكر ويعاقب المرأة دون وجه حق، إنما أرادت من خلال هذا تعبيرها على ضرورة تغيير هذا الفكر الاجتماعي السائد وذلك من خلال اعمال العقل والمنطق وتحقيق العادلة بين الرجل والمرأة.

3- النسق السياسي:

احتلت السياسة أهمية كبيرة في الرواية، وتجلى ذلك من خلال حديث سارة سعيد عن الحرب التي شنتها أمريكا على العراق، حيث وقفت أمريكا في البداية بجانب العراق بحجة "القضاء على الحكم الديكتاتوري في العراق وتحرير العراق والعراقيين...وغيرها شعارات كثيرة رفعتها أمريكا لتكسب الشرعية لحربها"[36]، ليظهر بعدها الوجه الحقيقي لأمريكا التي سعت للسيطرة على العراق والشرق الأوسط ولعل الدليل على ذلك قول الروائية: "كل المفاهيم والمصطلحات عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان سقطت مرة واحدة... كلها مفاهيم مطاطة مراوغة يحددها الأقوى لما يخدم مصالحه... باسم الديمقراطية تشن أمريكية حربها"[37].إلى جانب ذلك تطرقت الرواية إلى أشكال التعذيب التي مارستها أمريكا على العراقيين من خلال الفيديو "الذي كشف عن الأعمال اللاإنسانية وللاأخلاقية التي يقوم بها جنود الاحتلال في سجن أبو غريب، وقبلها في معتقلات

غوانتانامو، صور تقشعر لها الأبدان لمساجين عراقيين يعاملهم جنود الاحتلال أسوء معاملة عرفتها البشرية...يغطون رؤوسهم بأكياس القمامة السوداء... ويربطونهم بالحبال ويجرونهم"[38]، كما تحدثت الروائية أيضا على المقاومة الفلسطينية واللبنانية ومواجهتهم للعدو الاسرائيلي "إثر عملية الوعد الصادق التي نفذتها المقاومة في 2006/7/12؛ إذ قامت بأسر جنديين إسرائيليين وجاء رد العدو على هذه العملية جنونيا"[39]، ولعل الشئ المهم الذي تنبهت له الروائية هو حديثها عن تخاذل بعض العرب وخاصة الحكام في الدفاع عن قضيتهم ومواجهة العدو الاسرائيلي واسترجاع الأرض الفلسطينية، ولعل الخطاب الذي وظفته الروائية للسيد نصر الله الذي وجهه للعرب رد فيه "على بعض الحكومات العربية التي أدانت فعل المقاومة مشيرة إلى أنه فعل مغامر وغير محسوب وفي غير وقته المناسب"[40] لكن في مقابل ذلك صورت الرواية بعض المظاهر التي تظهر وقوف العرب بجانب بعضهم خاصة وقت الحروب وذلك من خلال الحكومة السورية التي أعلنت "حكومة وشعبا مساندتها الرسمية للمقاومة منذ اليوم الأول من الحرب؛ في الوقت الذي امتنعت فيه الحكومات العربية عن فعل أي شيء ... سورية بدأت بإرسال المعونات الصحية والغذائية... وشرعت أبوابها لاستقبال اللبنانيين المهجرين من منازلهم"[41]، وفي الصفحات الأخيرة للرواية تشير الروائية إلى أهم الأوضاع التي تعانيها الشعوب العربية من ويلات الحروب، متمنية وقوف العرب بجانب بعضهم من أجل القضاء على هذا العدو الاسرائيلي "بعد حرب العراق وأفغانستان، والعدوان السافر على لبنان، وتأزم القضية الفلسطينية، والضغوطات والتحديات التي فرضت على سورية...يحدث بمعجزة سماوية ربما يتحد العرب ويقفوا صفا واحد في وجه إسرائيل لتجد نفسها محاصرة من كل الجهات، ويتم جلاؤها عن فلسطين وتحرير الأراضي المحتلة"[42]. لعل توظيف الروائية لهذا النسق السياسي الذي تمثل في عرضها لأبرز القضايا السياسية في العالم من خلال حرب العراق وما تواجهه كل من فلسطين ولبنان من الكيان الإسرائيلي إنما أرادت من خلاله الروائية لفت انتباه العرب إلى ضرورة التكاتف من أجل المحافظة على الهوية العربية واسترجاع الأرض الفلسطينية العربية وعدم اتباع السياسات الأمريكية المزيفة التي تختفي وراء سياسة حقوق الإنسان من أجل السيطرة على الشعوب وثرواتها، فالروائية هنا أبرزت النسق السياسي بشكل كبير في روايتها رافعة صوتها بضرورة التغيير ووقوف العرب بجانب بعضهم.

4- نسق الدين:

وظفت الروائية الخطاب الديني الذي تجلى من خلال الديانة الإسلامية، وبرز من خلال الأدعية والآيات القرآنية التي كانت تقرأها سارة سعيد قبل نومها، إلى جانب تطرقها إلى مظهر ديني آخر تمثل في حديثها عن الحجاب الإسلامي الذي شكل في الرواية علامة موحية ومميزة للهوية العربية الإسلامية "لم يكن من الصعب عليه أن يعرف أنني عربية، فقد كان ذلك واضحا من حجابي"[43]، فالحجاب في الدين الإسلامي هو لباس يستر جسد المرأة ويميزها عن غيرها، وهو ما اتضح في الرواية من خلال سارة سعيد التي عرفت بحجابها العربي الاسلامي.

5- نسق الثقافة:

أ-الثقافة الشعبية:

لقد تعددت مظاهر الثقافة الشعبية في الرواية والتي ارتبطت خاصة بالثقافة الشعبية السورية وذلك لكون الروائية سورية الأصل، ومن أهم هذه المظاهر الشعبية، الحديث عن العادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع الشامي والذي بدا جليا من خلال اللهجة السورية الشامية، وأيضا من خلال توظيف بعض الأمثال الشعبية من أمثلة ذلك: "إيه اللي لم الشامي على المغربي"[44]، وأيضا في "الهريبة تلتين الغنيمة"[45] فهذه الأمثال الشعبية في الرواية تدل على الثقافة الشعبية السورية المتجذرة في ذات الروائية.

ب- المقطوعات الغنائية:

تجلى ذلك من خلال أغنية فيروز التي جاء فيها "سألتك حبيبي لوين رايحين خلينا خلينا ونسبق ها السنين...إذا كنا عا طول التقينا عا طول ليش بنتلفت خايفين"[46]، فهذا الشكل الثقافي برز من خلال محاورات سارة سعيد مع نصر الله كما أشارت الرواية أيضا إلى الحفلة الغنائية التي حضرتها سارة سعيد والتي غنى فيها المغني "قصيدة أبي فراس الحمداني: أراك عصي الدمع شيمتك الصبر... يرافقه عزف على القانون... كان صوته جميل عذبا اخترق القلوب... عندما وصل المغني عند

معللتي بالوصل والموت دونه..... إذ مت ظمآنا فلا نزل القطر"[47]،إضافة إلى ذلك نجد توظيفا آخر للمقطوعات الغنائية تمثل من خلال توظيف الروائية لأغاني أجنبية في أغنية "برين آدمز:

Pleace forgive me I can't stopping love you"[48]، ولعل هذا التوظيف للأغاني العربية والأجنبية أضفى على الرواية جو من الجمالية والحميمية والتأثير في نفس القارئ .

ج- الثقافة الإعلامية:

تناولت الكاتبة أسماء معيكل الجانب الإعلامي وذلك من خلال تركيزها على القنوات الإعلامية التي تنقل أخبار وأحداث الحرب والمقاومة، حيث أننا نجد وسائل الإعلام من خلال حديثها عن العراق وتهديدات أمريكا قد توقعت ما سيحدث في هذه الحرب غير العادلة، وهذا ما أثر على البطلة سارة سعيد التي أخذت تحلل هذه الأحداث من خلال ما ينقل في وسائل الإعلام كما أشارت الرواية أيضا إلى الحدث الذي نقله التلفاز والمتمثل في إسقاط تمثال الرئيس صدام حسين والذي أثر كثيرا في نفسية سارة سعيد.

ما نستشفه من خلال قراءة هذه الأنساق الثقافية لرواية "خواطر امرأة لا تعرف العشق" أن النسق السياسي ونسق المرأة قد شكلا معا محورا هاما في الرواية، قصدت من خلاله الروائية التعبير عن أوضاع الأمة العربية وما تعانيه من ضغوطات خاصة مع تخاذل بعض العرب الذين تهاونوا في الوقوف مع المقاومة ضد العدوان الإسرائيلي والأمريكي، إلى جانب ذلك استطاعت الرواية أن تعبر عن قضايا المرأة وتثبت ذاتها أمام الرجل والذي برز جليا من خلال الشخصية المحورية سارة سعيد التي استطاعت أن تعبر عن ذاتها وتبرز هويتها العربية الاسلامية.

خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

-إن تمازج الرواية مع السيرة الذاتية أنتج نوعا أدبيا جديدا مستحدثا، أطلق عليه النقاد عدة تسميات لعل أبرزها رواية السيرة الذاتية التي اختلف تعريفها من ناقد لآخر وذلك نتيجة تداخل جنسين مختلفين رواية وسيرة ذاتية / واقعي وتخييلي.

- استطاعت المرأة من خلال الرواية السير ذاتية التعبير عن ذاتها وهمومها وقضاياها وما تعانيه من ضغوطات وسط مجتمع أبوي مارس سلطته عليها.

- تميزت الرواية السير ذاتية النسائية عن الرواية السير ذاتية الذكورية وذلك لقدرة الروائية على اختراق ضوابط الكتابة الروائية من خلال تسرب بعض من جوانب حياتها إلى رواياتها بأفق يجمع بين الواقعي والتخييلي.

– تمثل رواية خواطر امرأة لا تعرف العشق إحدى الروايات السير ذاتية التي عملت على معالجة الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية، وتطرقت إلى العديد من الموضوعات المسكوت عنها.

– تعددت الأنساق الثقافية في الرواية السير ذاتية خواطر امرأة لا تعرف العشق، راجع إلى تعدد المواضيع التي تطرقت إليها الروائية، ولعل من أهم الأنساق الثقافية البارزة في الرواية نجد نسق اللغة، نسق المرأة، نسق الدين، نسق الثقافة، ونسق السياسة.

– يحفل النص الروائي السير ذاتي "خواطر امرأة لا تعرف العشق" بالعديد من القضايا السياسية التي تطرقت إليها الروائية بإسهاب وعناية، وذلك من خلال حديثها عن الكثير من القضايا السياسية البارزة في الوطن العربي لعل أبرزها القضية الفلسطينية وحرب العراق والمقاومة اللبنانية، ما جعل النسق السياسي يحتل أهمية كبيرة في الرواية.

هوامش:

[1] فيليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، تر: علي حلي، المركز الثقافي العربي، (بيروت–لبنان)، ط1: 1994، ص8.

[2] المرجع نفسه،ص22–23.

[3] جورج ماي: السيرة الذاتية، تعريب: محمد القاضي، عبد الله صولة، رؤية للنشر والتوزيع، (القاهرة– مصر)، ط1:2017، ص24 .

[4] عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، (القاهرة– مصر)، 1992، ص18.

[5] المرجع نفسه، ص27.

[6] فيليب لوجون: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، ص37.

[7] محمد آيت ميهوب: الرواية السير ذاتية في الأدب العربي المعاصر، تقديم: محمد القاضي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، (عمان – الأردن)، ط1: 1437هـ–2016م، ص57.

[8] المرجع نفسه، ص57.

[9] جورج ماي: السيرة الذاتية، ص287.

[10] محمد آيت ميهوب: الرواية السير ذاتية في الأدب العربي المعاصر، ص46.

[11] محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، (الدار البيضاء– المغرب)، ط1: 2004، ص158.

[12] عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، دار الفارس للنشر والتوزيع، (عمان – الأردن)، 2008، ص411.

[13] خيري دومة: رواية السيرة الذاتية الجديدة، (قراءة في بعض روايات الكاتبات في مصر التسعينيات)، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد63، عدد1، يناير2003، ص19.

[14] أسماء معيكل: خواطر امرأة لا تعرف العشق، الأطلسية للنشر والتوزيع، ط1: أفريل2009، ص7.

[15] سماح عبد الفران: ثقافة النص، قراءة في السرد اليمني المعاصر، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، (عمان- الأردن)، ط1: 1436هـ-2016م، ص17.

[16] صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، المدى للنشر والتوزيع، (دمشق- سوريا)، ط1: 2003، ص154.

[17] أسماء معيكل: خواطر امرأة لا تعرف العشق، ص34.

[18] الرواية، ص68.

[19] الرواية، ص 69.

[20] الرواية، ص 161.

[21] الرواية، ص 131.

[22] الرواية، ص58.

[23] الرواية، ص97.

[24] الرواية، ص209.

[25] الرواية، ص157.

[26] الرواية، ص 95.

[27] الرواية، ص95.

[28] الرواية، ص34.

[29] الرواية، ص 80.

[30] الرواية، ص95-96.

[31] الرواية، ص 193.

[32] الرواية، ص159.

[33] الرواية، ص 159.

[34] الرواية، ص93.

[35] الرواية، ص161.

[36] الرواية، ص 31.

[37] الرواية، ص 32.

[38] الرواية، ص45.

[39]الرواية، ص71.
[40]الرواية، ص72.
[41]الرواية، ص78.
[42]الرواية، ص 202.
[43]الرواية، ص122.
[44]الرواية، ص128- 129.
[45]الرواية، ص134.
[46]الرواية، ص103.
[47]الرواية، ص133.
[48]الرواية، ص158.